الفصل الثالث

وظائف المقال الصحفي ولغته

المبحث الأول:

وظائف المقال الصحفى

المقال الصحفى مثله مثل الفنون الصحفية الأخرى، أداة ووسيلة من أدوات الصحيفة لتحقيق وظائف الصحافة من إعلام وتثقيف، وتوجيه وإرشاد وتنوير وإعلان وتسلية، وإن كان المقال هو أداة الرأى والتوجية والتثقيف والإرشاد.

وهناك مدرستان فى الصحافة فيما يتعلق بوظيفة المقال والمهام التى يمكن أن يقوم بها بالتكامل مع الفنون الصحفية الأخري.

أ -المدرسة الإخبارية: (The Reporter School)

ترى هذه المدرسة أن الوظيفة الإعلامية هى الوظيفة الأساسية للصحافة المعاصرة. ومن هنا يذهب أنصارها إلى أن وظيفة المقال الصحفى إنما تتحقق بمجرد كتابة تقرير عن الرأى العام ، دون تدخل من الكاتب ودون توجيه أو إرشاد. فالإعلام إنما يتوجه صوب الحقيقة وحدها مجرداً من الهوى أو الغرض أو المنفعة الذاتية أو الدوافع السياسية، ولذلك فإن صفحة الرأى فى نظرهم يجب أن تكون مجرد مرآة تعكس الآراء العامة، وهى لاتحاول أن تقوم بوظيفة قيادية للرأى العام، وهى تكون صفحة رأى مثالية إذا ما قدمت لقرائها صورة واقعية لما يفكر فيه المجتمع ككل أو الأمة بأسرها.

وعلى هذه المدرسة ورؤيتها لوظيفة المقال، نورد الملاحظات الآتية:

١ - الوظيفة الإعلامية ليست الوظيفة الوحيدة للصحافة، فهناك وظيفة الشرح والتفسير والتوجيه والإرشاد.

٢ - مع أن الإعلام يجب أن يكون بعيداً عن الهوى أو عن المنفعة الذاتية والدوافع السياسية، إلا أن هذا لايمنع أن هناك ما يمكن أن نسميه بتلوين الأخبار، كما تقوم بعض الصحف بحجب الأخبار الصحيحة لأهداف دعائية، أوأن تنشر أخباراً كاذبة ملفقة أو محرفة عن دولة من الدول أو شخصية من الشخصيات أو هيئة من الهيئات

الوطنية أو الدولية لأغراض سياسية أو حزبية ، وهنا يأتى دور الشرح والتفسير وتفنيد غير الصحيح من الأخبار، وتنوير الرأى العام بالحقيقة.

٣ - وظيفة المقال تبعاً لهذه المدرسة يمكن أن تتحقق من خلال صحف الرأى المستقلة، ولايمكن تحقيقها فى صحف الرأى الحزبية التي تعمد إلى تلوين الأخبار بمايتفق مع لونها السياسى واتجاهاتها الحزبية، وهى فى سبيل ذلك قد تلجأ إلى التهوين من أعمال الآخرين والتهويل فى كل مايتعلق بالحزب. بينما لاتلجأ صحف الرأى المستقلة إلى مثل هذه الحيل والألاعيب، ما دامت غير مقيدة . بحزب أوهيئة، وإنما هدفها المصلحة العامة فقط.

٤ - وتبدو المشكلة أكثر تعقيداً أمام المدرسة الإخبارية، إذا ما عرفنا أن الصحف تعتمد فى الكثير من أخبارها على ما تبثه وترسله وكالات الأنباء العالمية والمحلية ، ومعظم هذه الوكالات تخضع لتأثير بعض التيارات السياسية وتهدف خدمة أغراض معينة.

ب - مدرسة الرأي: (The Opinion School)

يرى أنصار هذه المدرسة أن دور المقال الصحفى لايقتصر على مجرد كونه مرآة عاكسة لما يدور فى المجتمع، بل يجب أن يؤدى هذا المقال دور القائد والمرشد والملهم للرأى العام .

فالمقال الصحفى عندهم لابد أن تكون له وظيفة تربوية مهمة يقوم بأدائها مع سائر فنون القول والاتصال والتربية والتنشئة الاجتماعية والسياسية والفكرية[١].

كما يقوم المقال الصحفى بالتعليق على الأنباء وتفسيرها، واستخلاص الدليل منها للدفاع عن قضايا بعينها.

تكامل المدرستين

ولابد من التكامل بين المدرستين حتى يحقق المقال أهدافه، فكما يمكن تلوين الأخبار لتحقيق أهداف معينة، فإن الرأى أيضا قد يميل إلى الهوى والانحياز، ومن هنا

(١) د. عبدالعزيز شرف، مرجع سابق، ص٣٣.

لابد أن يكون مثل الإعلام متجرداً من الهوى والمصلحة، وأن ينظر كاتب المقال إلى المتلقى نظرة صحيحة، فالناس يختلفون فى مداركهم وثقافتهم ومصالحهم، وإطارهم الدلالي، الأمر الذى يستوجب تعدد الآراء فرديا وجماعيا. وليس من مصلحة الجماعة أن يكون أفرادها كلهم على رأى واحد، لأنه لو حدث ذلك لأصيبت بالجمود ولأتعدم فيها التطور. ومن ثم فإن وظيفة التفسير من الوظائف التى يجب أن تتكامل مع الوظيفة القيادية للمقال الصحفي.

ويمكن إجمال وظائف المقال الصحفى فيما يلي:

١ - الإعلام، وذلك بتقديم المعلومات والأفكار الجديدة عن الأحداث أو القضايا أوالمشاكل التى تشغل الرأى العام، وهنا يجب التنبيه إلى ضرورة الفصل بين الخبر والرأى، فالحقائق فى الأخبار ملك القراء، ومن حقهم أن تقدم لهم الأخبار غير متحيزة، وألا تحجب عنهم الأخبار لسبب ما.

٢ - شرح وتفسير الأخبار اليومية الجارية والتعليق عليها، بما يوضح أبعادها وجوانبها المختلفة. وتفسير الخبر جزء هام من أجزائه، يراد به شرح بعض المفاهيم، أو بعض المسميات أوالمصطلحات الواردة فى الخبر.

٣ - التثقيف، وذلك عن طريق نشر المعارف الإنسانية المختلفة التى تضيف إلى القاريء أبعاداً جديدة عن الموضوع أوالقضية التى يتناولها المقال.

٤ - التوعيةا لسياسية،والمقصود بذلك أن يشرح المقال سياسة الحكومات والأحزاب ومواقفها المختلفة من قضايا المجتمع، حتى يكون القاريء قادراً على اتخاذ موقف وفهم مواقف كل طرف من الأمور المثارة حوله.

٥ - نشر الأفكار والفلسفات والدفاع عنها ضد خصومها أو منافسيها، وتتطلب هذه الوظيفة حياد وموضوعية فى التناول، حتى لايدافع كاتب المقال عن فلسفات أو أفكار هدامة وتعمل ضد صالح المجتمع وأفراده.

٦ - تعبئة الجماهير، وذلك لخدمة نظام سياسى أو اجتماعى معين أو للمساهمة فى التنمية الوطنية.

٧ - تكوين الرأى العام فى المجتمع والتأثير على اتجاهاته سواء بالسلب أوالإيجاب.

٨ - القيادة، وتهدف هذه الوظيفة إلى الحث على حياة فاضلة فى البيت والمجتمع، والحاجة إلى هذه الوظيفة تشتد فى الأوقات العاصفة التى تحدث فيها الإضطرابات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، التى لايكون فيها العقل الجمعى مختلفاً كثيراً عن عقلية الغوغاء، وعندئذ تشتد الحاجة إلى قيادة إيجابية مستنيرة لإرشاد الناس والخروج بهم من الضباب والخطر إلى بر الأمان، ومن اليأس إلى الأمل ومن الفوضى إلى النظام.

٩ - الدفاع عن الأديان والمقدسات والقيم والمبادىء، ضد دعوات الإلحاد وانتهاك المقدسات والخروج عن القيم والمباديء بأى شكل من الأشكال.

١٠ - التسلية والإمتاع والمؤانسة، وهذه الوظيفة تخفف العبء عن النفوس والعقول، وتجعل الحياة محتملة رغم ما فيها من متاعب، وبذلك تصبح وظيفة الإمتاع ذات أثر نفسى حميد، وتحقق هذه الوظيفة المقالات الترفيهية أو الضاحكة أو الساخرة أو المقالات المسلية أو الظريفة.

وكثير من القراء يجدون هذا الإمتاع فى مقال يقدم فكرة جديدة ، أو آخر يحفز على التفكير.

المبحث الثاني:

لغة المقال الصحفي

قيل لو كان سقراط حياً فى زماننا لكان أنسب عمل يشتغل به هو أن يكون كاتب مقال صحفي، ينشره فى جريدة يومية ويوقعه بإمضائه.

فى هذا القول كثير من الصحة، فهو يشير إلى منهج سقراط فى معايشة الناس ومخالطتهم والتقاط بعض الأمور التى تشغلهم، أو يمكن أن تحرك تفكيرهم، ثم اختياره لأسلوب الحوار الكاشف، الذى يعتمد على تقريب وتبسيط الفكرة، ولايعتمد على الغرابة والتعقيد. وهذا بالضبط هوالمطلوب من كاتب المقال الصحفي، فلا بد أن يعيش بين الناس ويعبر عما يشغلهم ويفكرون فيه، وما يواجههم من مشاكل وقضايا كبيرة أو صغيرة.

والصحيفة وهى تتابع مجريات الحياة من خلال المقال وغيره من الفنون الصحفية تفعل ذلك على مستويين:

الأول : هو مستوى سطح الحياة ، وما يجرى عليه، يراه القاريء، أو يسمع به، أو يمكن أن يصل إلى علمه.

الثاني: مستوى ما يجرى تحت السطح، لايراه القاريء بالضرورة وقد لايصل إلى علمه، وقد يصعب عليه تفسيره أو فهمه وفهم العلاقات بينه وبين غيره من أحداث.

وإحاطة الصحيفة بهذين المستويين وتعاملها معهما يحددوه نوع العلاقات القائمة بين الصحيفة كمؤسسة وبين الجماعة التى تصدر فيها، ونوع العلاقات التى تؤثر فى سياسة تحرير الصحيفة، سواء كانت علاقاتها بالسلطة فى المجتمع، أو بالدولة عن طريق التشريع، أوكانت علاقتها بالمعلن ، أو بنوع القاريء، أوبالاتجاه السياسى الذى تنتمى إليه.

معايشة الناس

ومطلوب من المقال الصحفى وكاتبه أن يعايش المستويين، معايشة الحياة الجارية كل يوم، ومعايشه حياة الصحيفة من داخل العمل الصحفى أى أن يأخذ فكرة مادته من بين الناس ، ثم يحاول التعبير عنها بما يتفق وسياسة الصحيفة التى يعمل بها والتى تحكمها علاقاتها المتعددة.

كاتب المقال يجب ألا يكون فى معزل عن التاريخ الجاري، وإلا تجرد المقال من عنصر الحيوية والأهمية. والتاريخ الجارى يعنى سائر نواحى الحياة، ماكان منهاخاصاً بالبنية الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية، أو ما كان منهاخاصاً بالثقافة والفكر والعلم والفن والأدب، بل وماكان منها خاصاً بالترويح عن القاريء وتسليته.

وإذا كان المخبر الصحفى يلتقط الأخبار ويعرضها بأسلوب يخلو من الذاتية ، فإن كاتب المقال الصحفى يلتقط هو الآخر بعض الأحداث الجارية، أو بمعنى أدق يتأثر بها، ويعرضها بأسلوب لايخلو من الذاتية، فكاتب المقال ينقل إلى القراء ترجمة لردود أفعالهم بالنسبة لأهم الأحداث والموضوعات أو المشكلات المطروحة فى حياة كل يوم.

وهذه الذاتية فى كتابة المقال لا تتعارض مع الموضوعية، لأن شخصية الكاتب لابد أن تظهر فيما يكتب ، وفى نفس الوقت لابد أن تكون فكرته معروضة عرضاً موضوعياً (١).

إن الصحافة كالفن فى بعض أنحائها، تفرض على المشتغلين بها نوعاً متميزاً بها من الأداء، ومن هنا فإن الكتابة من خارج الصحيفة هى استضافة على فنها، وليست احترافاً لفنها ، فالصحافة تفرض على المشتغلين بها أن يعيشوها من الداخل، أى يعيشوا قدراتها وآفاقها، وطرائق عملها، ويعتادوا إيقاعها ونبضها، وينطبعوا بروحها، ويعرفوا الحد اللازم من تكنيكها.

---

(١) جلال الدين الحمامصي، مرجع سابق، ص ٢٠٠.

ولذلك فرق كبير جداً بين كاتب المقال الذى ينشأ ويتربى فى الصحيفة،و وبين من يهبط عليها «بالبراشوت» ويصبح كاتبا للمقال بقرار رسمى وليس إنطلاقاً من المقدرة والكفاءة.

وكاتب المقال يجب أن يكون متواضعاً لايستعلى على القراء، أو أن يكتب من أبراج عاجية، فهذا النوع من الكتابة اغتراب عن العمل الصحفي، وليس إندماجاً فيه أو استيعاباً له.

ومطلب آخر يجب توافره فى كاتب المقال الصحفى وهوالتخصص، فإذا كان التخصص هو سمة الحياة القائمة على ثورة العلوم والتكنولوجيا، فيجب أيضاً أن يكون هو سمة العمل الصحفى ومن بينه المقال.

السهولة والوضوح

والذين ينظرون إلى المقال الصحفى من حيث الأسلوب أو الصياغة، يفرقون بين ثلاثة أنواع من المقالات:

١ - **المقال الأدبي**: وهوالذى يعبر فيه الأديب أو الكاتب عن تجربته الذاتية ومشاعره تجاه موقف خاص أو موقف عام، وتقوم لغة هذا المقال على الصور البيانية والمحسنات اللفظية ، ويتبارى كل كاتب لإظهار مهارته اللغوية والأسلوبية.

٢ - **المقال العلمي**: وهو الذى يعبر فيه كاتبه عن الحقائق العلمية سواء أكان ذلك فى العلوم الكونية أم التاريخية أم الأدبية، وتقوم لغة هذا المقال على النظريات والأرقام والإحصائيات والمصطلحات العلمية التى لايفهمها سوى المتخصصون فى كل علم من العلوم.

٣ - **المقال الصحفي**: وهو وسط بين المقالين الأدبى والعلمى ، ففيه شيء من ذاتية الأديب، وفيه شيء من موضوعية العالم. وتقوم لغة المقال الصحفى على السهولة والبساطة والوضوح، وهى قد تستفيد بشيء من جمال الأسلوب الأدبي، وقد تستفيد بكثير من دقة الأسلوب العلمي.

وبديهى أن لغة وأسلوب المقال الصحفى تختلف حسب اختلاف نوعية المقال وتخصص كاتبة. وأن تتماشى مع المستوى الثقافى الذى تتوجه إليه.

وتبنى المقالة الصحفية على فكرة يستمدها المقالى من الأجواء المحيطة به، قد تكون خبراً يصل إليه من مصادر الأخبار، أو تعليقاً على موضوع سياسى أو اقتصادى أو اجتماعى ، أو تعليقاً على موضوع خفيف شد المقالى وجذب انتباهه، أو خاطرة خطرت للمقالى ورأى أن يكتبها [1].

(١) د. محمود شريف، مرجع سابق، ص ١٥٢.